# الدراسات السابقة في البحوث التاريخية: الماهية والأهمية

لا يمكن بأي حال من الأحوال على الباحث في شتى المجالات إعداد بحوث ودراسات كل في تخصصه دونما المرور على مرحلة جمع والاطلاع على محتوى الدراسات السابقة، وتعرف بأنها مجموعة الأبحاث والدراسات التي تناولت جزءً من البحث أو المقال أو المذكرة أو الرسالة التي بصدد الباحث انجازها، على أن تكون هذه الدراسات قادرة على تقديم معلومات تساهم في ذلك البحث المطروق. وتقدم الدراسات السابقة مجموعة كبيرة من المعلومات التي ترتبط بالبحث، وتجيب عن عدد كبير من الأسئلة التي تدور في مفكرة الباحث، حول الموضوع الذي يقوم به.

وتوفر الدراسات السابقة الوقت والجهد على الباحث لأنها تمنحه فكرة عامة عن موضوع بحثه، وتجيبه عن عدد كبير من الأسئلة التي تدور في ذهنه، كما تساعد الباحث على تجنب الوقوع بالأخطاء التي وقع بها من سبقه في البحوث. وأيضا، فمن من خلال الدراسات السابقة سيطلع الباحث على موضوع البحث التاريخي، ويتعرف على النقاط التي تناولوها في الدراسة، وبالتالي سيكون قادرا على تجنب النقاط التي درست بكثرة، والبحث عن نقاط جديدة للدراسة تساهم في انجاز بحث هادف وجديد، لا يتقاطع مع نتائج البحوث التي سبقته.

ومن الأهمية بمكان، والتي وقفنا عليها كأساتذة باحثين وراء القراءة المتمعنة للدراسات السابقة، هو إمكانية اعداد عناصر في شكل عناصر يستمد منها الباحث لاحقا بتقسيمة بحثه، فقد تكون ضمن المباحث كمطلب، أو ضمن المطالب كفروع، أو قد تكون ذاتها عنوان فصل أو عنوان مبحث أو عنوان مطلب، فكلما احتاج إلى ادراج عنصر مما نقص لدى من سبقه، يدرجه، أو يعالجه دونما عرضه كعنوان بحد ذاته.

والأكيد أن الاطلاع على الدراسات السابقة، وقبل ذلك البحث والتقصي لجمعها بشتى اللغات، وهو ما نؤكد عنه ها هنا، فلا يكف جمع الدراسات السابقة بلغة البحث فقط، بل تتعداها إلى اللغات الأجنبية، فقد نجد ما في النهر، ما ينجده في البحر، وقد يكون البحث

الأجنبي قد وفى البحث بشكل كلي، أو يتقاطع بشكل كامل مع الدراسة التي سيتم انجازها، وهنا سيكون لزاما تغيير البحث كله أو جزء منه، أو اطاره الزماني، أو المكاني. **مثال**: قد يجد الباحث **دراسة أجنبية سابقة** عن: " **المذهب المالكي بافريقية خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى: الحضور والانتشار والأعلام**"، وهو بصدد إنجاز دراسة حالية حول: " **أعلام المذهب المالكي خلال العصر الوسيط بالمغرب الأدنى**"، ونعلم يقينا بأن المغرب الأدنى يقع ضمنها إفريقية، هنا سيكون الباحث قد تقاطع مع صاحب الدراسة الأجنبية في الموضوع (**الجزء من الكل**)، وسيصل دون شك، ولا محالة إلى نفس النتائج المرجوة من بحثه، بعدما يستنطق جل المصادر المستخدمة من قبل من سبقه في البحث الأجنبي؛ هنا سيكون لزاما التوجه وباستشارة المشرف طبعا، إلى تغيير الاطار المكاني، فينتهي الإشكال تماما عنده، أو يلجأ إلى اعتماد مناهج مساعدة بالبحث (الكمي) مثلا إذا غاب في الدراسة الأجنبية السابقة، وهذا مجرد مثال بسيط ليفهم الطالب دور الوصول إلى مختلف الدراسات السابقة، وبشتى اللغات.

إضافة إلى استخراج فجوات بحثية من الدراسات السابقة، فتحمل هاته الأخيرة ميزة إضافية أخرى، حيث تسمح للباحثين والطلبة من الوصول إلى المصادر التي قد يكون لها دور ببحوثهم بسهولة انطلاقا مما أحال إليه صاحب الدراسة السابقة بالهوامش، كما تسمح الدراسات السابقة من استخلاص طرق التدوين، والتي تمكن الباحث من مجاراتها و/أو التشبه بها، حتى يتعود على التدوين التاريخي والتحرير بملكة كتابة عالية الجودة، وذات قيمة تاريخية، سليمة لغويا ومنهجيا؛ كما تساعد الطالب الدراسات السابقة على التفتح على التفكير العقلي السليم، والتوجه إلى استنتاج الأفكار البحثية والأسئلة، وكذا تمكنهم من تكوين تدريجيا شخصية طالب أو باحث في التاريخ الاسلامي الوسيط انطلاقا من التفكير النقدي سواء لأفكار الغير، أو من خلال تقييم ومقارنة محتوى ما استعمله من نصوص مصدرية، على أنه وجب توفر فيه خاصية القدرة على معرفة مصادر تخصصه

بدقة متناهية، صاحبها، تاريخ وفاته، وانتماءاته المذهبية والفكرية والسياسية والحزبية أو القبلية الاثنية، حتى يتمكن لاحقا من اعتماد فن النقد التاريخي على نصوصه، وشخصه.

**أين نجد هذه الدارسات السابقة؟**

ننبه هنا الطالب بأن عملية جمع الدراسات السابقة بشتى اللغات لا تُحصر في مذكرات وأطاريح، بل تتجاوزها إلى وجودها ضمن الكتب المطبوعة، وضمن المقالات بالدوريات والمجالات الشهرية، الفصلية، السداسية، السنوية، وضمن المداخلات المنشورة بكتب أعمال الملتقيات أو الندوات أو المؤتمرات، والأيام الدراسية، والندوات أيضا، ولا تحصر كما سبق ذكره في ما ينتج بلغة البحث ونفرض أنها العربية، بل على الباحث أن يحاول جمع ما يمكنه من هاته الدراسات، ولو أن العملية ليس بالسهولة التي ينظر إليها غير المختصين، جمعها بجميع اللغات. كما يعد ما ينشر في إلكترونيا ضمن مواقع معهود عليها الثقة، والرزانة في إخراج البحوث، أو المجلات والدوريات مصدرا كذلك لجمع الدراسات السابقة. ويتدرج الباحث في جمع ما تيسر من دراسات سابقة، على أنها ستكون مراجع لبحثه إذا ما أفادته، كما سيتم التقديم لها ضمن المقدمة بشيء من التحليل والفجوة و/ أو الفجوات التي وقف عليها ضمنها.

## الفجوة البحثية (Research Gaps)

تكمن أهمية الدراسات السابقة في البحوث التاريخية في كونها حجر الزاوية لبناء معرفة تاريخية دقيقة، أين بإمكانها أن توفر إطاراً نظرياً وسياقاً تحليلياً للأحداث، وتساعد الباحث في تحديد "الفجوات البحثية"، كما تهمه في تجنب التكرار، وكذا تدعيم مصداقية النتائج عبر المراجعة النقدية للمصادر، ويجب أن نذكر ها هنا الطالب إلى أن عملية الوصول إلى الفجوات البحثية ضمن الدراسات السابقة لا يتأتى دون المرور على مرحلة جمع الدراسات وقراءة محتوياتها، ثم بعدها سيستقر الباحث على مكامن الضعف، وأهم النقائص الموجودة بالعنصر المتناول في كل دراسة سابقة يتم تحليلها؛ وغير ذلك لا يمكن استخلاص هاته الفجوات البحثية، وعليه ننصح الطالب بوجوب جمع ومراجعة الدراسات

السابقة لما له من أهمية كبيرة في بناء البحث وتحديد الفجوة البحثية، بل تتشكل للباحث بموضوعه الذي هو بصدد إنجازه وبمخيلته الكثير من الأسئلة البحثية التي قد تساهم لاحقا في تقسيمة بحثه. إذًا، يجب التعامل مع الدراسات السابقة من منظور تحديد الفجوة البحثية التي تعطي تبريرً في بناء البحث على أن الفجوة البحثية تكون الأداة التي تساعد الباحث على مقارنة النتائج التي توصل إليها أصحاب البحوث السابقة مع النتائج المتوقع الوصول إليها ضمن بحثه المطروق.

ومن الأخطاء التي يقع فيها الباحثين هو التعب في جمع دراسات سابقة دونما تكبد عناء قراءتها أو الاطلاع على نتائجها المتوصل إليها، فيدرجها ضمن مراجع بحثه، وأنها جزء يزين المذكرة، أو يجمعها دونما التأكد من أنها سيكون لها إضافة مفيدة لبحثه، وهنا ننبهه إلى وجوب التروي في الجمع، وضرورة الاطلاع ولو بشكل مختصر أقل الإيمان على نتائج الدراسات تلك، حتى تتشكل في مخيلة الطالب/ الباحث فجوة أو نقص الذي تضمنته.

سيحاول الطالب/ الباحث لاحقا، خلال مراحل إعداد مذكرته أو أطروحته ملء هذا الضعف، لينتهي ببحث جديد، مفيد، هادف، مكتمل منهجيا، وعليما. كما يقع الطالب في الماستر أو الدكتوراه أو حتى بعض الباحثين في خطأ الاكتفاء بما جمعه من دراسات سابقة خلال سنوات سابقة، على أن بحثه هنا لم يصدر بعد، هنا من الخطأ تناسي ما ينجز ما بعد ما جمعه من دراسات سابقة، بل عليه أن يكون قادرا على مواكبة كل ما يصدر حديثا من بحوث تخصصه، صحيح الأمر جد صعب، لأن مكامن هاته البحوث متنوعة بسبب كثرة دور النشر، وكثرة الجامعات المحلية والدولية، وكثرة المجلات والدوريات والمواقع الالكترونية، إلا أن المحاولة ستفي الغرض، وكلما أدرج عمل جديد كدراسة سابقة ضمن البحث الذي سيصدر، فهذا سينبه من سيقرأ البحث بأن صاحبه على إطلاع، وتتبع لما يصدر من جديد.

**كيف نحدد الفجوة البحثية؟**

يتم تحديد الفجوة البحثية من خلال المسح الشامل في مجال الموضوع قيد البحث ويكون بقراءة آخر الأبحاث المحكمة والمنشورة في المجلات والدوريات المشهورة في مجال البحث مع التركيز على النتائج التي توصلت إليها هذه الأبحاث او مقترحات لدراسات مستقبلية، وأثناء القراءة والتحليل يتم التركيز على المنهجيات المطبقة في البحوث التي بحثت في نفس المجال.

والفجوات البحثية هي نقاط غير مُستكشفة أو ناقصة في الدراسات السابقة، وتُمثل فرصًا ذهبية تفتح الطريق للباحثين وطلبة الدراسات العليا والتدرج إلى حصرها ومحاولة استكمالها ليصل في النهاية إلى تقديم مساهمات تاريخية جديدة. ومن المتعارف عليه لدى الباحثين وجود (05) أنواع رئيسية من الفجوات البحثية:

- الفجوة المنهجية: اختلاف في الطرق أو الأدوات المستخدمة في الدراسات السابقة .
- الفجوة المكانية أو الزمانية: تطبيق دراسة أجريت في مجتمع/ مكان معين على مجتمع آخر، أو تحديث دراسة سابقة لتناسب الفترة الزمنية الحالية.
- الفجوة النظرية: نقص في الفهم النظري أو الإطار المفاهيمي لموضوع ما.
- فجوة المعرفة: نقص في المعلومات أو الفهم العام لظاهرة معينة.
- الفجوة التجريبية: عدم وجود بيانات أو أدلة كافية في مجال معين.

ويمكن الاشارة هنا إلى أن الكثير من الباحثين في الدراسات العليا بالأخص مرحلة الدكتوراه، وبعد الانتهاء من انجاز أطاريحهم يسهلون في الكثير من الاحيان على القارئ أو المختصين في مجالهم، فيحددون الفجوات البحثية ببحوثهم، دونما الحاجة للغير من التقصي والبحث فيها، فبعد إنهاء بحوثهم، يشيرون في عنصر دائم التكرار في الأطارح الأكاديمية إلى الفجوات البحثية التي وقعت ببحوثهم، نتحدث هنا عن المقترحات التي تقدم في نهاية البحث، وفيها يشير صاحب البحث الأصلي إلى النقائص التي وقعت ببحثه، في فصل من الفصول، أو مبحث او مطلب، فيذكر ذلك النقص، أو الفجوة التي لم يتمكن من إكمالها ببحثه، على أن ذلك قد يرجع إلى أسباب علمية دقيقة، لا إلى أسباب لا علاقة لها

بالبحوث الاكاديمية والجانب البحثي. من هذه الفجوات، بإمكاننا كباحثين أو طلبة دكتوراه أو طلبة ماستر أن نستقي حتى عناوين لأعمالنا بحثية مستقبلية، وهي من الأشياء التي دائما نوجه إليها الطلبة.